ليوبولد سيدار سنغور

التذويب أم الزنوجة ؟

بقلم جيرالد مور
ترجمة علي شلش

ان ليوبولد سيدار سنجور ، الذي يدوى اسمه كما يدوى احد سطور شعره ذي الجرس الرنان ، ليعني الكثير بالنسبة لكثيرين . ويتضح مفتاح حياته الشعرية في السطرين التاليين من قصيدة باكرة بعنوان « عودة الولد الضال » ، حيث يقول :

غدا آخذ الطريق الى اوروبا ، طريق السفير
يغمرني الحنين لبلدي الاسود

وليس من قبيل الصدفة أن يكون سنجور سنغاليا ، فحياته الادبية تجسد الازمة السنغالية . وذلك ان السنغال قد انفردت بين مستعمرات غرب افريقيا بأن الاوروبيين احتلوها احتلالا حقيقيا تاما منذ مائة عام . وكانت المدن الساحلية على صلة بفرنسا منذ القرن السابع عشر ، ومن ثمة عرفت هذه المراكز مثل جوريه Gorée وسان لوي St. Louis سكانا افريقيين وملونين ينطقون بالفرنسية منذ ذلك الحين حتى اليوم. وفي عهد الحاكم فيدرب Faidherbe تم غزو المساحة الكلية التي تشكل السنغال الحديثة ، كما تم اخضاعها للحكم الفرنسي المباشر ، وكان ذلك عام ١٨٦٥ ، في الوقت الذي كان فيه الاستعمار الاوروبي ، عبر الساحل عداها ، لا يزال مجرد حصون ومصانع وبعض القطاعات الضيقة المماثلة مثل مستعمرات لاجوس وساحل الذهب وفريتاون . وفي عام ١٨٨٠ اشترك في الانتخابات الافريقيون الذين طبقت عليهم سياسة التطوير بمدينتي سان لوي وداكار جنبا الى جنب مع المستعمرين البيض ، وذلك بوصفهم مواطنين فرنسيين ، كما ساهموا في ارسال ممثلين عنهم الى الجمعية الوطنية الفرنسية . وكذلك بدأ تعليم الافريقيين بهذه المراكز الحضرية في وقت مبكر ، وكان طلاب السنغال اول ابناء غرب افريقيا الذين ذهبوا الى فرنسا نفسها لتلقي العلم بجامعاتها .

ولعلنا نستطيع بهذا الخد ، اذن ، أن نتبع مدى ما حققته سياسة التذويب Assimilation من نجاح أو فشل . فهذه السياسة التي لم تتخل فرنسا عنها الا حديثا ، والتي لا تزال اسبانيا والبرتغال تتبعانها في مستعمراتهما الافريقية ، انما تسعى لرسم خط لا يفصل بين الاسودَ والابيض ، وانما يفصل بين « المتحضرين » و « غير المتحضرين » من أهل البلد . (لا شك ان جميع البيض يعتبرون متحضرين بمقتضى هذا التعريف) . ويلزم أن يكون ابن البلد المتحضر مسيحيا ـ ويفضل أن يكون كاثوليكيا ـ كما يلزم ان يكون متعلما بلغة العاصمة . ومن ثمة يتمتع بقدر موفور عن الحرية ـ بالمقاييس الانكلو سكسونية ـ يعفيه من التعصب للون ، ويترتب على هذا انه يصبح مواطنا من مواطني البلد الام ، رغم انه قد يحتاج من اجل التمتع بهذه المزايا الى أن يترك الغابة ويعيش في المدن . اما ابن البلد غير المتحضر فمن الواضح انه يشكل قضية مختلفة تمام الاختلاف . فهو يعجز عن الارتفاع بنفسه الى المستوى المقبول لدى الحكام ، ومن ثمة يقع تحت طائل السلطات المدنية والعسكرية . اذ يلزم فضلا عن هذا ان يملأ صفوف الجيش ، وأن يعتني بمشاكل العمل كالمناجم والمزارع .

وقد كان ابعد هدف لهذه السياسة هو ان تجعل المستعمرات جزءا لا يتجزأ من فرنسا نفسها ، وذلك بأن تكون اقاليم Departments تابعة للجمهورية . وهذا الوضع نلمسه اليوم في جزيرتي مارتينيك وجواديلوب (١) وبعض الاقاليم الاقل مساحة ، كما هو وضع انجولا وموزمبيق (٢) داخل الجمهورية البرتغالية .

وقد بلغ من الحزم في اتباع هذه السياسة ان الاطفال السود الصغار تعلموا في الوقت الحاضر ان يستظهروا أسماء « اسلافهم الغاليين » (٣) كما يلاحظ سنجور في قصيدته « الرسالة » .

وكان غرض النظام في مجموعه ، اذا شئنا أبسط المعاني ، هو أن ينتج فرنسيين سود . فهل نجح في هذا ؟ لا شك انه يوجد فرنسيون سود ، لكنهم لم يعودوا يلعبون الدور الذي لعبه الافريقيون الفرنسيون في الشؤون السياسية او الادبية او الثقافية . وأشهر رجل بين هؤلاء الافريقيين الفرنسيين هو سنجور نفسه ، الذي يرأس اليوم جمهورية السنغال (٤) . وقبل أن تتحقق لسنجور زعامة بلده المستقل ، كان يعمل ـ فيما عمل ـ استاذا بمدرسة دراسات ما وراء البحار ، وعضوا

★ هذا المقال عبارة عن فصل في الاصل من كتاب الفه جيرالد مور ، أحد المتخصصين الانكليز في الاداب الافريقية جنوب الصحراء الكبرى ، وهو كتاب Seven African Writers الذي صدر قبل أعوام عن مطبوعات جامعة اوكسفورد .

وقد حاولت بقدر الامكان أن أذيل الترجمة بالهوامش اللازمة حتى لا يغمض المعنى على القارىء العربي ، نظرا لخلو الاصل من الهوامش أو الشروح (المترجم) .

(١) تقدم التعريف بجزيرة مارتينيك ، اما جواديلوب فهي كذلك من جزر الهند الغربية وتقع على بعد ٣٠٠ ميل تقريبا جنوب شرقي بورتوريكو : اكتشفها كولومبوس عام ١٤١٣ واستعمرتها فرنسا عام ١٦٣٥ . واكبر مدنها بوانت أبيتر وهي ميناؤها أيضا . اما عاصمتها فهي باس تير . وأهم منتجاتها السكر وشراب « الروم » ، كما تصدر البن والموز . ويبلغ سكانها اليوم نحو ثلاثة أرباع المليون نسمة .

(٢) تقع انجولا في غرب القارة ، وقد ارتادها البرتغاليون في الفترة من ١٤٨٢ الى ١٤٨٥ وعاصمتها لواندا ، وتصدر البن والماس والسمك والقطن والزيت والشمعير . ويبلغ سكانها اليوم نحو خمسة ملايين نسمة . أما موزمبيق فتقع في جنوب شرقي القارة وقد اكتشفها فاسكودي جاما عام ١٤٩٨ ، لكن العرب سبق ان عرفوها في القرن العاشر الميلادي وقد سيطر عليها البرتغاليون عام ١٥٠٥ ، وهي بلد زراعية تصدر القطن والسكر والنحاس والشاي والذهب والفحم ايضا. عاصمتها لورنزو ماركيز .

(٣) نسبة الى القال أجداد الفرنسيين .

(٤) منذ استقلالها عن فرنسا واعلان الجمهورية بها عام ١٩٦٠ .

بالمجلس الاوروبي (٥) . Council of Europe ونائبا عن السنغال في الجمعية الوطنية ، ووزيرا في الحكومة الفرنسية.

لقد كان سنجور أول افريقي يتلقى تعليما فرنسيا أكاديميا الى أعلى المستويات (٦) وأول افريقي ينال اجازة الاجريجاسيون Agrégation (المعادلة للدكتوراه) من جامعة فرنسية . وقد ولد لابوين مسيحيين عام ١٩٠٦ في مدينة جوال الساحلية الصغيرة ، حيث كان أبوه يعمل في تجارة الحروع . ويرجع تاريخ جوال الى نزول البرتغاليين على هذا الشاطىء في القرن الخامس عشر . وقد كتب سنجور عنها بافتتان في احدى قصائده الباكرة ، حيث يقول :

أذكر الولائم الجنائزية ، اذ يتصاعد بخارها
من دم القطعان السمينة .
أذكر ضجيج الخناقات وتراتيل القسس .
أذكر الاصوات الوثنية وهي تترنم بأنشودة تأثوم ارجو .
أذكر المواكب والنخيل وأقواس النصر .
أذكر رقص الفتيات البالغات .
وجوقة المصارعين ـ يا للروعة !
وآخر رقصة يؤديها الشبان ، وهم مائلي الصدور ،
وصيحة الحب الجهيرة التي تطلقها النساء ـ كورينجا ! (٧)

وقد تنقل في صباه بين فلاحي قبيلة السيرير (٨) وصيادي المنطقة . وكان يصغي لما يرويه الشعراء والنسوة العجائز من حكايات تدور حول افريقيا القديمة التي سبقت اتفزو الفرنسي ، افريقيا « المقاتلين الاباة في مراعي الاجداد » كما تقول قصيدة دافيد ديوب (٩) وكانت هذه الفترة من حياته خليقة بان تكون لها دلالة عظيمة في عملية الاستيطان ، وهي فترة لا يكف هو عن أن يصد بها ارادة « التذويب » المزعزعة مستخدما اياها كمقياس يقيس به الفضيلة والاخلاص الاصليين.

غير ان سنجور شرع في دراسة اللغة الفرنسية بعزيمة قوية منذ كان في سن السابعة . وما لبث نبوغه الظاهر ان اتجه به الى داكار ، ولما بلغ الثانية والعشرين أبحر الى فرنسا ليكمل دراسته بمدرسة المعلمين العالية Ecole Normale Supérieure في باريس . وسرعان ما تحق به هناك ابنه سيزير الذي كان يصغره بسبع سنوات ، حيث شرع الرجلان في المسلسلة الطويلة من الاتصالات والتجارب التي أهلتهما لمهمة « منح الاجناس السوداء لسانا » .

وكان ليون ضاما ابن غيانا الفرنسية من معارف هذه الفترة . لكن أحدا من هؤلاء الرجال الثلاثة لم يبدأ في نشر انتاجه الا في أواخر الثلاثينات ، فقد كان عليهم أولا أن يتغلبوا على الوضع الغريب للرجل « المذوب » الذي يعيش في مجتمع لا ينتمي اليه . ونحن نكتشف من سنجور ، كما نكتشف من كامارالاي فيما بعد ، ان الانطباع الساحق لدى التلميذ النجيب ابن افريقيا الفرنسية الذي فاز بالسفر الى باريس كان انطباعا ينم عن العزلة . وبهذا المعنى وجده اكتشف المغالطة التي تأسس عليها تعليمه كله . فهو لم يكن فرنسيا ، ولا يمكن على الاطلاق أن يكون كذلك . ومن ثمة كان عليه أن يحسم الامر ، وأن يكتشف مرة اخرى معنى ان يكون افريقيا . وكان قادرا على أن ينقل الى هذه المهمة كل الفضول العقلي والتمكن من اللغة ومعرفة الادب ، وهي صفات كانت بمثابة الجزء الباقي والنبيل في التعليم الذي سبق أن لقن اياه . وتتمثل أول سخرية من سياسة « التذويب » ، وربما يتمثل التبرير النهائي لها ، في انها ساهمت اكثر مما ساهم به أي شيء عداها ـ في عملية اعادة اكتشاف افريقيا .

وهذا البحث عن الهوية يمكن أن يتخذ شكلا بسيطا كما في قصيدة « الطوطم » لسنجور ، التي يقول فيها :

لا بد أن أخفيه في أعماق شراييني
الجد الذي قصف مخبأه العاصف
بالرعد والبرق .
حامي حماي الحيوان ، لا بد أن أخفيه
حتى لا أحطم حواجز العار .
انه دمي الامين الذي يطلب الولاء
اذ يحس زهوي العاري
من نفسي ومن احتقار الاجناس الاسعد حظا .

وكذلك يمكن أن يفترض في الطول والتعقيد اللذين في «يوميات» سيزير او في قصيدة « البطانة السوداء » لضاما . والحق ان الاسلوب الذي اصطنعه سنجور لنفسه لا يدين كثيرا لضربة السوط المليئة بالاحتقار في شعر سيزير ، او للسطور ذات النغم المتداخل والجمل المطبعية (١٠) في شعر ضاما . لكن مما لا شك فيه ان لسيزير تأثيرا قويا منقذا على سنجور من خلال عقله وشخصيته ، وهو تأثير نوه به بسخاء في قصيدته المشهورة « رسالة الى شاعر » التي يقول فيها :

اليك أيها الاخ والصديق الحبيب ،
تحيتي غير المرتبة الاخوية !
لقد تذوقت أخبارك
من طيور البحر ذات الظهور السوداء ،
من قوارب البحار العميقة
تذوقتها مختلطة بالتوابل ، بالاصوات العطرية
لريفييرات الجنوب والجزر ...
ان موسيقاك تفتنني عبر السنين ،
وتحت رماد جفنيك
ذلك الدفء المتوهج الذي بسطنا
قلبينا وأيدينا بالامس نحوه !
أنسيت مجدك الخاص ،
مجد التغني بالاسلاف ، بالامراء ، بالارباب ،
لا بالازاهير او قطر الندى ؟..
انني ، في الثقوب المظلمة بذاكرتي ، ألمس وجهك ،
حيث أحتسي المياه التي تخفف أسفي الطويل .
انك تضطجع على طريقة الملوك ،
وتستند الى حشية نسيجها تل مضيء ،
وجسدك يضغط الارض التي نادرا ما تهزها الطبول الافريقية،
وأنشودتك تملأ السيول المحملة بالمياه ،
وشعرك يتنفس كالليل والبحر البعيد .
انك تتغنى بالاسلاف والامراء الحقيقيين
انك تكسر من السماء نجما
من أجل نغم متقاطع لا اكثر ،

---

(٥) تكون في ٥ مايو ١٩٤٩ من بلجيكا والدانمارك وفرنسا وايرلندا وايطاليا ولكسمبورغ وهولندا والنرويج والسويد والمملكة المتحدة ليبحث كل الشؤون ذات المصلحة المشتركة للدول الاعضاء فيما عدا الدفاع الوطني . وقد انضم اليه بعد ذلك عدد آخر من الدول . وله لجنة من وزراء الخارجية أو من ينوب عنهم ، وجمعية استشارية من ممثلين تختارهم الحكومات الاعضاء .

(٦) لعله يقصد الى انه أول افريقي من غرب القارة ، اما اطلاق الصفة فليس صحيحا .

(٧) ومعناها « يحيا الحب » !

(٨) ينتمي اليها سنجور ، وهي قبيلة كبيرة .

(٩) سيأتي ذكرها كاملة في الفصل التالي .

(١٠) ومنها ولعه بتوزيع كلمات القصيدة حسب هندسة معينة فأحيانا يشتمل السطر الواحد على كلمة واحدة تأتي في أول السطر والصفحة ، ثم يشتمل السطر التالي على كلمة واحدة ايضا تأتي في منتصف السطر والصفحة ، وكذلك يشتمل السطر الثالث على كلمة واحدة تأتي في نهاية السطر والصفحة ، وهكذا .

والمساكين يقذفون عند قدميك العاريتين
الحدود التقريبية لمكاسبهم السنوية.
والنساء يقذفن قلوبهن العنبرية ورقصة أرواحهن المزقة .
أي صديقي ، انك قادم يا صديقي !
سأنتظرك ـ وعند رئيس الميناء علم بهذا ـ
سأنتظرك هناك تحت أشجار الليمون .

ستأتي الى مأدبة أملنا !
وحين يسقط على السقوف ضوء الغروب الرقيق ،
ويعرض العداءون شبابهم ويتزينون كالفتيات المخطوبات ،
ستكون أنت حاضرا .

لقد خلق سنجور موسيقاه الخاصة المتميزة في الشعر الفرنسي منذ بداية عهده بالشعر . ولعل ما في الشعر الفرنسي من تقاليد بلاغية ودرامية يتيح للمواهب الشعرية الافريقية مجالا أكبر مما تتيحه التقاليد الانكليزية التي تتميز بأنها أهدأ الى حد ما وأكثر نزوعا الى الاستبطان . أو لعل الشعر الانكليزي لم يكن في هذا الوقت في حال تسمح له بمد يد العون الى الكتاب الذين احسوا بأن لديهم شيئا كبيرا وملحا يلزم قوله . وأيا كان التأويل فان القدر الممتاز من الشعر الزنجي المكتوب بالفرنسية ـ سواء كان افريقيا او افروكاريبيا ـ (١١) يتفوق بكثير على نظيره في اللغة الانكليزية . أما في السنوات الاخيرة فقد وطد الزنوج الناطقون بالانكليزية أقدامهم بقوة في الرواية ، والقصة القصيرة ، والسيرة الذاتية . لكن لا يوجد بينهم شعراء يمكن للمرء أن يفكر في ادراجهم ضمن طبقة بول نيجر Paul Nigger وجي تيروليين Guy Tirolien ابني جواديلوب ، او ليون ضاما ابن غيانا ، او ايميه سيزير ابن المارتينيك ، او جاك روبين او روسان كاميل Roussan Camille ابني هاييتي ، او سنجور ابن السنغال . بل ان أحدا من الشعراء الناطقين بالانكليزية لم يحقق في الدوائر الادبية الانكليزية المركز الذي يتمتع به هؤلاء الكتاب في فرنسا . وفي السنة او السنتين الماضيتين (١٢) فقط بدأت ثروة نيجيريا وتنوعها الانسانيان في الانعكاس في انتاج شعرائها الاصغر سنا من هؤلاء .

كان سنجور ، اذن ، قادرا على تحقيق اتجاهاته الادبية في صحبة عدد من الشعراء الزنوج الاخرين الذين شاركوه بعض همومه ، رغم انهم جميعا لم يكونوا افريقيين . لقد أخذ عن سيزير شيئا من الاتجاه الادبي الجديد المتمثل في الزنوجة الذي كان يتطلب من شعرائه ايقاعا لفظيا قويا ، وثروة من الكفايات والتوريات الافريقية واعلاء عاما لشأن « الشخصية الافريقية » . كما ينبغي فيه أن يعاد اكتشاف الماضي الحقيقي للزنوج أسفل طبقات التاريخ الاستعماري ، وأن تدعم ثقافتهم ، وأن يهيأ مستقبلهم . غير ان سنجور ألح وحده على المظهر الموسيقي في الايقاع ، بل انه يطالب بضرورة أن يتلى شعره بمصاحبة الالات الافريقية . ولا نلبث أن نجده يخلق ، باستخدام السطر الطويل ، ذلك الرنين الدوار العميق النفس الذي يميز كل شعره ، ولكي نقدم فكرة حقيقية عن هذه الخاصية فمن الضروري أن نقتبس من شعره بالفرنسية. واليكم مطلع قصيدته « ليل السين » Nuit de Sine الذي يقول فيه :

Femme, pose sur mon front tes mains balsamiques, tes mains douces plus que fourrure.
Là - haut les palmes balancées qui bruissent dans la haute bris nocture.
A peine. Pas même la chanson de nourrice.
Qu'il nous berce, le silence rythmé.
Ecoutons son chant, écoutons battre notre sang sombre, écoutons.
Battre le pouls profond de l'Afrique la brume des villages perdus.

وهذه ترجمته :

أيتها المرأة ، ضعي يديك البلسميتين على جبيني ،
يديك اللتين تتفوقان في النعومة على الفراء .
ان أشجار النخيل الشامخات التي تتمايل مع نسيم الليل
يكاد حفيف سعفها ألا يسمع ،
لا ولا ترنيمة الرضيع تسمع .
ونحن نتارجح مع السكون الايقاعي .
لنصغ الى تفريده ، لنصغ الى نبض دمنا القائم ،
لنصغ .
الى نبض افريقيا الغائر في غمام القرى الضائعة .

ان الترجمة الانكليزية أخف واكثر تداخلا (١٣) . فلا يمكن اصابة العمق الكامل للصوت في عبارة « لنصغ الى نبض دمنا القائم » في الاصل الفرنسي حتى في أحسن ترجمة ، رغم ان شعر سنجور يقرأ في الانكليزية بيسر نظرا لاحتفاظه بجريان صوره واخيلته .

وكل القصائد التي استشهدنا بها حتى الان ماخوذة من ديوان « أغاني الظل » Chants d'Ombre

---

(١١) نسبة الى البحر الكاريبي .

(١٢) بالنسبة لعام ١٩٦٢ ، وهو تاريخ صدور الكتاب الذي يضم هذا الفصل .

(١٣) نثبت فيما يلي الترجمة الانكليزية لمن شاء مقارنتها بالاصل حتى يضح حكم المؤلف :

Woman, rest on my brow yor balsam hands, your hands gentler than fur.
The tall palm trees swinging in the nightwind
Hardly rustle, not even cradle songs.
The rhythmic silence rocks us.
Listen to its song, listen to the beating of our dark blood, listen.
To the bealing of the dark pulse of Africa in the mist of lost villages.

صدر حديثا

للشاعر عبد الوهاب البياتي

طبعة جديدة لواحد من اهم
دواوين الشعر العربي الحديث

منشورات دار الاداب ٢٠٠ ق.ل

وهو أول دواوين سنجور ، وقد نشر عام ١٩٤٥ . وفيه لم يكن قد أثبت موسيقاه الشخصية فحسب ، وانما كان قد اثبت الهموم التي تتردد على شعره الى اليوم . ومن أبرز هذه الهموم الحاحه على صحبة الموتى ، والاسلاف وآمراء قومه المهزومين ، الذين سعى تعليمه الى عزله عنهم . ومن المستحيل التعبير عن مدى شاعرية هذا الموقف ومدى عمق هذا المعتقد . وقد عبر سنجور ، على أية حال ، عن الموقف التقليدي الافريقي نحو الموتى بوصفهم القوة الرئيسية التي تهيمن على الاحياء ، وهي قوة خيرة لكنها يقظة . ففي قصيدة مثل « في النصب التذكاري » يستغيث بالموتى من منفاه المنعزل في باريس ، ساعيا الى التزود بالقوة من صحبتهم وقدوتهم يقول :

اليوم يوم الاحد .
اني أخاف تجمهر اخوتي ذوي الوجوه الحجرية .
اني أرى الاسلاف يزجرونني ،
أراهم من برجي الزجاجي الحافل بالالم .
اني أحملق في الاسطح والتلال وسط الضباب .
في السكون ـ فأرى المداخن رزينة عارية .
ان موتاي يرقدون عند سفوحها ،
وكل أحلامي هباء
كل أحلامي ، فالدم المتحرر يجري كله في الشوارع ،
ويختلط بدم السلخانات .
والان ، من هذا المرصد كما من ضاحية ،
ألحظ أحلامي تطفو في الشوارع في غير ما وضوح ،
وترقد عند سفوح التلال ،
مثلما يرقد أدلاء جنسي على ضفاف جامبيا او سالوم ،
والان يرقدون على ضفوف السين ، عند سفوح هذه التلال .
خلني أفكر في موتاي !
بالامس كانت ذكرى توسان (١٤) ،
الذكرى السنوية المهيبة للشمس ،
لكنما لا يوجد ما يذكرنا بها في اي مدفن .
أواه ، أيها الموتى الذين رفضتم دوما أن تموتوا ،
الذين عرفتم كيف تقاتلون الموت
عند السين أو السين ،
لقد اندفع الدم المنبع في شرايين المعطوبة ،
أيها الموتى احموا أحلامي ، فقد جعلتم اولادكم يتسكعون
على أقدام رقيقة .
أيها الموتى ، احموا أسطح باريس الغارقة في ضباب الاحد ،
الاسطح التي تحرس موتاي
حتى انزل من الامان الخطر في برجي الى الشوارع
كيما الحق باخوتي ذوي العيون الزرق ،
والايدي الخشنة .

ان الموتى هنا بمثابة جسر بين سنجور وكل شيء أبعده عنه تعليمه . وهو يشدد على عالمية حضورهم عن طريق مزج اسم السين Seine النهر الباريسي ، بأسماء الانهار في وطنه (سين Sine وجامبيا وسالوم) . وهو حين ينظر من نافذة برجه الشفافة يرى فجأة دم الفتح الفرنسي يملأ الشوارع الضيقة ، لكنه يرى ايضا الموتى المائلين أمامه الذين يستطيعون التوفيق بينه وبين اخوته البيض الاجانب. وهو لا يسعى الى تزكية حياته الحالية ، واهتماماته الحالية ، وغوصه في شؤون عالم من علماء باريس ، الا للموتى أو لامه في قصائد أخرى . يقول :

افرحي يا أماه !
فلن أبعث الريح الشرقية فوق هذه الصور المقدسة
كما أبعث بها فوق رمال الطريق .
انك لا تسمعينني حين أسمعك ،
مثل أم مشغولة البال تنسى أن تشد الزر رقم « ١ »
لكني لن أمحو اثار قدمي أبي ،
أو اثار أقدام آباء أبي ،
في هذه الراس المفتوحة
أمام كل رياح الشمال واغاراته .
أماه ، اني أستنشق دخان ضحايا الماء في قلبي ،
وأنا بداخل هذه الصومعة التي يصطف فيها اللاتين والاغريق.
عسى أن تنفذ الارواح الواقية دمي من الرخاوة
كالتي تظهر على المذوبين والمتحضرين !
اني أقف مشدود القامة أمام الاسلاف ،
رغم انني أجيء متأخرا ،
وأقدم لهم دجاجة واحدة غير منقوطة (١٥) ،
حتى يدلق اللبن وجعة الشعير قبل هذا
علي وعلى شفتي المكتنزتين
الدم المالح الغائر ،
دم ثور في أوج حياته وأبهة رسمه !

هذه ، اذن ، هي « الزنوجة وقد شدت قامتها » . وقد زم سنجور شفتيه بهذا المفتاح الذي أخذه عن سيزير ، وأطلق نهرا من الالحان القاتمة الثرية والموسيقى الجديدة . غير اننا نتساءل حين نمضي في مطالعة ديوانه الثاني: من الذي ذوب الاخر ؟ لقد ظهر هذا الديوان «الضحايا السود» Hosties Noires عام ١٩٤٨ ، لكنه يتضمن رغم تاريخه المتاخر كثيرا من القصائد التي تدور عن سنوات الحرب . وقد اشتعلت الحرب وسنجور في باريس ، ففي قصيدة من أروع قصائده نجده يمعن الفكر في كل شيء منحته اياه أوروبا ويبدو له عند ذاك مقلقلا . ومنها نجد سنجور حزينا على تراثه الاوروبي ، معلنا عمق انخراطه فيما لا يمكن أن يمثل له على الاطلاق مجرد حضارة « غريبة » . واليكم القصيدة :

لوكسمبورج ١٩٣٩ (١٦)

هذا اتصباح في اللوكسمبورج، هذا الخريف في اللوكسمبورج،
ليسا كما عشت وأحييت شبابي ،
فقد اختفى المتسكعون ، اختفى الماء ،
اختفت القوارب التي على الماء ، اختفى الاطفال ،
اختفت الزهور .
أسفاه! على زهور سبتمبر وصيحات الاطفال التي لفحتها الشمس،
الاطفال الذين كانوا يتحدون الشتاء المقبل .
لم يعد هناك الا صبيان عجوزان .
يحاولان لعب التنس .
هذا الصباح الخريفي بلا أطفال ـ

---

(١٤) توسان الوفيرتير Toussain L'Ouverture من أبطال الوطنية في سان دومنكو (جمهورية الدومنيكان الان) التي كانت تابعة لفرنسا في عهد نابليون الاول . وقد قاد ثورة المستعمرة ضد الفرنسيين ، واضطر نابليون الى ارسال حملة خاصة الى هناك لاخماد الثورة ، وقبض على توسان بخديعة دنيئة ونفي الى جبال الجورا بفرنسا حيث مات بين العواصف الجليدية ، كما يقول هربرت فيشر في كتابه عن « نابليون » .

(١٥) يشير الى عادة تقديم القرابين للموتى في قارتنا ، وهي عادة تستلزم أن يكون القربان مستوفيا لشروط معينة ، منها في حالة الدجاجة مثلا أن تكون بلون واحد ، غير منقوطة .

(١٦) لوكسمبورج هنا هي الحدائق المشورة في باريس التي أحب وتسكع فيها كثيرون من شعراء باريس وفنانيها . والعام ١٩٣٩ ، هو الذي اشتعلت فيه الحرب الثانية . كما ان لشهر سبتمبر في القصيدة دلالة واقعية ، فقد أعلنت فرنسا الحرب على هتلر في الثالث منه .

بل أن مسرح الاطفال مغلق !
هذه اللوكسمبورج التي أعجز فيها
عن تعقب اثار شبابي ،
وبلكم السنين الناضرات كالمروج .
انهزمت أحلامي وحل اليأس برفاقي ،
أويمكن أن يصبح هذا ؟
أراهم يساقطون كالاوراق مع الاوراق ،
ذابلين ومجروحين يسحقهم لون الدم حتى الموت
فأية مقبرة شعبية ستضم زفاتهم ؟
اني لا أعرف هذه اللوكسمبورج ،
لا ولا هؤلاء الحراس الذين يتناوبون الحراسة .
لقد نصبوا المدافع كي يحموا التراجع الذي دار في همس
بين أعضاء مجلس الشيوخ (١٧)
لقد حفروا الخنادق تحت الاريكة التي تعلمت عليها ،
أول درس من دروس تورد الشفاه الناعمة .
تلكم الملحوظة أسوقها مرة أخرى !
أواه ، نعم ، يا له من شباب خطر !
اني ألحظ أوراق الشجر تسقط
في المخابىء ، في الحفر ، في الخنادق
حيث يجري دم جيل
فأوروبا تدفن خميرة الامم وامل الاجناس الجديدة .

ان ملحوظة « هذا الصباح » شغل شعر سنجور الذي يدور عن سني الحرب ، وهي حرب تطوع فيها للخدمة العسكرية ، وأسر خلالها في ألمانيا عقب انهيار الجيوش الفرنسية . والقصيدة صرخة بعيدة مستمدة من الهيئة المتينة للزنوجة . بتقريبها الدائم بين صورة لاوروبا باردة ، فظة مجردة ، ذكية كالقردة ، وبين صورة لافريقيا غريزية دافئة تعمل من أجل خلاص نفسها . وسنجور يعلن عند ذاك ان افريقيا لا يمكن أن تنبذ اوروبا دون ان يفقر هذا النبذ كلتا القارتين . وحين نطالع هذه القصائد نتذكر فجاة ان الزنوجة ليست في أساسها موقفا أدبيا افريقيا على الاطلاق ، وانما هي ـ باحرى ـ موقف كاريبي وافرو اميركي. فالاسود الذي يعيش في قارة يقطنها السود ، وقد توغل في مجتمعه هو، ليس بحاجة الى أن يدق الطبول لسواده وان يعلنه على الملأ بشكل دائم . لكن الاسود الذي يجد نفسه في الطبقة الدنيا لمجتمع يسيطر عليه تدرج الالوان ، دون ان يكون له في هذا المجتمع لغة او ثقافة ، بل دون ان يكون له اسم خاص يميزه ، وقد فصلته عن أصوله وجذوره ثلاثة الاف ميل (١٨) وبضعة قرون ، هذا الرجل سيرغب في أن يزكي سواده وأن يمجده ، وأن يدفع به في أسنان مجتمعه ، وأن يزرع حنينا لافريقيا لم تقع عليها عيناه قط ، ويحتمل ألا يكون قد عقد النية على زيارتها مرة . ومن هذه الغربة الحقيقية ينبع الزنوجة في شعر رجال مثل نيكولاس جيلين وايميه سيزير . أما في افريقيا نفسها فانها ستبدو دائما طريقة دخيلة ومقحمة الى حد ما .

ولا شك ان شعر سنجور يتأرجح دائما بين قطبي الزنوجة والتذويب ، وهو ميل أنماه ورعه الكاثوليكي العميق . وهو حين يتألق كما في قصيدة « باريس في الثلج » فانه ينجح في التوفيق بين هاتين القوتين في انسجام أصيل . يقول :

الهي ،
لقد قبلت بردك الابيض الذي يفوق الملح في لسعه
وها هو قلبي يذوب الان كما يذوب الجليد في الشمس .
وانسى .

الايدي البيضاء التي حشت المدافع ، التي دمرت الممالك ،
الايدي التي ألهبت العبيد بالسياط وألهبتك
الايدي المعفرة التي صفعتك ،
الايدي البيضاء المعفرة بالبارود التي صفعتني .
الايدي الامينة التي دفعتني الى العزلة والكراهية
الايدي البيضاء التي قطعت الغابة العالية ،
تلك الغابة التي تشرف على افريقيا ،
وقطعت الصحراء المنتصبة الثابتة في قلب افريقيا ،
الصحراء الجميلة كأوائل الرجال الذين خلقتهم يداك .
لقد قطعت الغابة العذراء لتحيلها الى فلنكات للسكك الحديدية.
قطعت غابة افريقيا كي تنقذ الحضارة التي كانت تفتقر الى الرجال.
الهي ،
لا زلت غير مستطيع أن أترك هذه الكراهية الاخيرة ،
اني أعرفها ،
كراهية الدبلوماسيين الذين يكشرون كثيرا عن أنيابهم
اني سأقابضها في القد باللحم الاسود .
آه يا الهي ، لقد ذاب قلبي ،
كما يذوب الجليد على أسطح باريس ،
في شمس طيبة قلبك .
انه عطوف على أعدائي ،
اخوتي ذوي الايدي البيضاء الخالية من الجليد ،
وذلك أيضا بسبب أيدي الندى
التي ترقد ليلا على وجنتي الملسوعتين .

ومع هذا فمن قبيل الصدفة أن تبدو توسلات سنجور الى التوفيق والغفران وطلبه لهما أمرا مغالى فيه تقريبا ، كما في قصيدة « صلاة من أجل السلام » (١٩٤٥) ، التي ينهي فيها أغنية مديح طويلة ودقيقة من الكراهية لاوروبا البيضاء بهذه الكلمات :

الهي ،
ضع فرنسا وسط الامم البيضاء ،
على يمين الاب .

هنا تستبدل الهيبة والرأفة الموجودتين في قصيدة « باريس في الثلج » بشيء وثيق الصلة الى درجة خطرة بسكين فتح الخطابات وبسمة الاغواء . وفي بعض الاحيان تظهر على صفحة الزنوجة ملحوظة زائفة متشابهة ، كما يحدث حين يحيي سنجور الجنود الاميركيين الزنوج الذين يدخلون باريس عام ١٩٤٥ مكللين بالنصر فيقول :

اخوتي ،
لست أدري ما اذا كنتم أنتم الذين دمروا الكاتدرائيات، فخر اوربا.
وما اذا كنتم الرعد الذي أحرقت به يد الله سدوم وعموره.
كلا ، انما أنتم رسل رحمته ، ونسيم الربيع بعد الشتاء .

هذا التمييز بين ضارب المدفع الاسود وبين زميله الابيض انما يظهر بشكل تحكمي وعاطفي الى حد ما .

وكثيرا ما يبلغ شعر سنجور قمة نجاحه حين يهجر البحث عن التوفيق ويقنع بتسجيل انفعال واحد ، دونما اهتمام كبير بالعواقب . وقصائد الحب في ديوان « اغنيات الى ناييت » Chants pour Naëtt (١٩٤٩) فيها خاصية الهجر هذه ، ويبدو انها تستمد منها الكثير من طاقتها الايقاعية . وفيها يتحرك شعر سنجور بشكل أسرع من المعتاد وتتوهج صوره وأخيلته بدفء غير عادي . يقول :

سأنطق اسمك ، يا ناييت ، سأنشدك يا ناييت !
اسمك ، يا ناييت ، ناعم الملمس كالقرفة ،
انه العطر الذي رقد فيه سرب أشجار الليمون ،
يا ناييت اسمك هو الصفاء المحلى بالسكر ،
صفاء أشجار البن المورقات ،

---

(١٧) من المعروف تاريخيا ان مجلس الشيوخ الفرنسي هو الذي أصدر انذاره الى هتلر بعد أن غزت المانيا بولونيا ، ثم أصدر قراره ايضا باعلان الحرب على هتلر .

(١٨) هي المسافة بين اميركا وافريقيا ..

وهو يشبه السافانا (١٩) ، التي تتورد
تحت اللظى المذكر لشمس الظهيرة .
اسم الندى هو ، وأنضر من ظل التمر هندي ،
بل أنضر من الشفق القصير الذي يظهر
حين تسكن حرارة النهار .
ناييت ، انه الاعصار الجاف ، وهزيم البرق الحاد
ناييت ، يا عملة ذهبية ، وفحم لألاء ،
انك ليلي وشمسي !
أنا بطلك ، وقد غدوت الان ساحرك ، كيما انطق بأسمائك .
يا أميرة اليصا ، المنفية من فوتا (٢٠) في اليوم المقدر العظيم.

ويمكن ان نلتمس ربا مساويا لهذا الري الذي تبعثه فينا هذه القصيدة ـ وان كان مختلفا عنه في قصيدة مثل « نيويورك » من ديوان حبشيات Ethiopiques (١٩٥٦) ، فهذه القصيدة تحقق للزنوجة مكان قدميها بشكل كامل مقبول عن طريق عقدها مواجهة مخلصة مضيئة بين مانهاتن وهارلم . وبناء هذه القصيدة ناجح للغاية بمطلعها المدوي ، ومعني العقم الجاف الذي ينمو تدريجيا عبر سطورها ، وانتقالها المفاجيء الى دفء هارلم ورائحتها اللذين يبعثان النضارة ، وكذلك باللفتة الرائعة الرحبة التي تنتهي بها . واليكم القصيدة :

ـ ١ ـ

نيويورك !
في البدء أربكني جمالك ،
أربكتني تلكم الفتيات الرائعات المذهبات ذوات السيقان الطويلة.
لكم خجلت في البدء أمام عيونك الزرق المعدنية ،
وبسمتك الجليدية ،
لكم خجلت .
والضم في أعماق شوارع الناطحات
يرفع الاعين الى أعلى فلا ترى كسوف الشمس .
ايتها الناطحات يا من تتخدين العواصف بعضلات من الصلب
وطلاء من الحجر الاملس ،
ان ضوءك كبريتي وأبراجك معتمرة برؤوس تقدح السماء
اسبوعان ، لا اكثر ، على ممرات جسر مانهاتن العارية .
ـ ثم تدهمك الحمى في نهاية الاسبوع الثالث ،
وتنقض عليك بانقضاضة الفهد .
أسبوعان بلا أنهار ـ أو حقول ،
تساقط فيهما كل طيور الجو بغتة .
وتموت على رماد الاسطح العالية المسطحة .
لا تورق بسمة على شفتي طفل ، تبترد يده في يدي
لا يوجد صدر أم ، وانما توجد سيقان من النايلون ، لا اكثر.
سيقان وصدور لا رائحة لها ولا عرق .
لا توجد كلمة حلوة ، لانه لا توجد شفاه ،
وانما توجد قلوب صناعية تشترى بالنقد
ولا يوجد كتاب تلتمس فيه الحكمة .
ولوحة ألوان المصور تزدهي ببلورات من المرجان .
يا ليالي السهاد ، يا ليالي مانهاتن !
لكم أهاجتني الاضواء المتراقصة ،
بينما أبواق السيارات تعوي من الفراغ
والمياه الحالكة تطوي مظاهر الحب الصحيح ،
كانها أنهار تفيض بجثث الاطفال .

ـ ٢ ـ

لقد حل زمان العلامات (٢١) وتسديد الحساب .
نيويورك !
لقد حل زمان المن والسلوى (٢٢)
ما عليك الا ان تصغي لصور الرب (٢٣) ،
وخلي قلبك يخفق على ايقاع الدم ، دمك .
لقد رأيت في هارلم همهمة وضجيجا وألوانا زاهية .
وروائح نفاذة .
ـ كان ذلك وقت تناول الشاي في بيت بائع العقاقير ـ
رايتهم يعدون لهرجان الليل فرارا من النهار .
والليل عندي اصدق من النهار .
كان ذلك في الساعة الطاهرة ،
اذ يبعث الرب الحياة في الشوارع ،
الحياة التي تخطئها الذاكرة .
وكانت كل العناصر البرمائية تسطع كالشموس .
هارلم يا هارلم ! عندئذ رأيت هارلم !
رأيتها نسمة آذرة خضراء !
تنبعث من الارصفة التي حرثتها اقدام الراقصين العارية.
رأيتها امواج قبعات من الحرير ونهودا مسنونة كحد السيف!
وسلالا من زنابق الماء ، وأقنعة خرافية .
وعند حوافر خيول الشرطة
كانت حبات مانجو الحب تتدحرج
آتية من بيوت الفقراء .
ورأيت على الممرات جداول من الروم (٢٤) الابيض .
وفي ضباب السجائر الازرق رأيت جداول من اللبن الاسود.
رأيت السماء في المساء زهورا من البرد الابيض .
واجنحة ملائكة وريشات سحرة .
اصغي يا نيويورك :
نعم ، اصغي الى صوتك الذكر الذي قد من النحاس
اصغي اليه وهو يرتج مع الاوبوا (٢٥)
فالفم تخنقه العبرات التي تساقط بقع دم كبيرة
اصغي الى خفق قلبك الديجوري الآتي من بعيد ،
اصغي الى ايقاع الطبول الافريقية ودمها ،
دم الطبول الافريقية والطبول الافريقية

ـ ٣ ـ

نيويورك !
اني اعلنها :
خلي الدم الاسود يجري في دمك يا نيويورك
حتى يزيل الصدأ عن مفاصلك الصلبية ،
كانه زيت حياة ،
حتى يكسب جسورك حنية الردفين وليونة الزواحف .
وعندئذ يعود ما كان في اقدم العصور
وتتحقق الوحدة من جديدة والوفاق بين الاسد والثور والشجرة ،
ويرتبط الفكر بالعمل ، والاشارة بالمعنى .

---

(١٩) المراعي أو السهول التي تخلو من الاشجار في المناطق الحارة والاستوائية .

(٢٠) اليصا من الممالك القديمة ذات التاريخ العريق في غرب القارة . اما فوتا فهي منطقة تقع اليوم في جنوب السنغال .

(٢١) المقصود هنا Signs او Signes بمعنى علامات الجمع والطرح والقسمة (+ او ـ او ÷) في الحساب .

(٢٢) المن والسلوى هو الطعام الذي انزله الله على بني اسرائيل في فترة الاربعين عاما التي قضوها مشردين في صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر في الزمن القديم .

(٢٣) جاء ذكره في الانجيل والقرآن ، وهو التفير .

(٢٤) الشراب الذي يصنع من قصب السكر وهو مفضل عند الزنوج.

(٢٥) آلة نفخ نحاسية ، تعرف في العربية باسم التفير احيانا .

وتدمدم انهارك بتماسيح نفاذة الرائحة
وجنيات عيونهن سراب .
وليس بك ثمة حاجة الى اختلاق جنيات البحر .
لكن يكفيك ان تفتحي عينيك
على قوس قزح في شهر ابريل
وان تعيري اذنيك ، خلها فوق كل الاذان ،
للرب الذي خلق السماء والارض
في ستة ايام من ضحكة ساكسوفون (٦)
ثم رقد في اليوم السابع ،
الرقاد الاعظم الذي رقده الزنجي (٢٧)

ويحقق سنجور مثل هذه القوة والاكتمال حين يتحول عن قصة حبه الطويلة لفرنسا ويبتعد عن انشغال باله بمسألة كونه « سفير الشعوب السوداء » ، ويغمس نفسه في صحبته طفولته والمناظر الطبيعية في بلده وكل ما يربطه بالاسلاف فهو لا يكون عندئذ في حاجة الى تزكية او تبرير اي شيء . وتصفو نفسه ، وهذا الصفو يملأ اشعاره بموسيقاه الهادئة . وبهذا المزاج يتميز صفو سنجور ويتضح على الورق، ويكتب بطريقة لا تنسى . والسطور التالية منقولة من « حبشيات » ، وهو ديوان خصص اكثره لرثاء المنفي ـ والمنفي الذي يرثيه هنا هو حالة النفي من اوروبا ، ومن كل ما ترمز اليه قصيدة « اميرة بلفور » Princesse de Belfort لكن سنجور يتحرر في هذه القصيدة من كل هذا ويكتشف من جديد انقى شريان من شرايين الاستبطان عندما يقول :

لست ادري متى حدث هذا ،
فانا دائما اخلط الطفولة بجنة عدن .
لما اخلط الموت بالحياة ـ ثم يصل بينهما جسر من الرحمة .
كنت عند ذاك عائدا مو فاأوي (٢٨) ، وقد سكرت عند المقبرة المهيبة
مثلما يشرب اهل ماناتا (٢٩) عند نافورة سيال (٣٠)
كنت عند ذاك عائدا من فاأوي ، وكان الهول على أشده ،
وكانت الساعة ساعة ظهور الارواح لنا ، حين يشف الضوء
وعندئذ لا بد ان نغادر الدروب ، كي نتفادى قبضتها الاخوية الميتة،
ان روح قرية ترفرف على البعد .
ترى ، أهي روح لاحياء أم لاموات ؟
لقد حيتني بقولها :
« عسى ان ينزل شعري المسالم ماء صفوا على قدميك ووجهك ،
وعسى ان يتجدد ظل صحبتنا في قلبك » .
وألبستني يداها لازوردا من الحرير والتقدير
وفتنتني بحديث من اللحوم الشهية ـ من نعومة لبن نصف الليل
وكانت بسمتها اكثر موسيقية من خلام (٣١) مغنيها .
وأقبلت نجمة الصبح لتجلس بيننا ، وبكينا بلذة .
ـ اختاه المهندمة ، احفظي حبات الذهب هذه ،
عساها ان تنفني بالوهج الداكن في حلقك .
لقد كانت الحبات لخطيبتي الجميلة ، وانا ليس لي خطيبة .
ـ اخي المفضل ، قل لي اسمك. لا بد ان يدوي عاليا كالسورونج(٣٢)
وان يضوي كالحسام في ضوء الشمس . يا للروعة !
حسبك أن تنشد اسمك .
ان قلبي صندوق من الخشب الثمين ،
ورأسي جلد قديم من جلود الجن .

(٢٦) الالة الموسيقية المعروفة بهذا الاسم .

(٢٧) جاء في الاصحاح الثاني من سفر التكوين انه حين اكملت السموات والارض وكل جندها « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل » (١ ، ٢) .

(٢٨) ، (٢٩) ، (٣٠) اسماء اماكن في بلاد السنغاص .

(٣١) الخالام الة موسيقية وترية محلية تشبه الربابة عندنا .

(٣٢) الة موسيقية نحاسية .

حسبك ان تنشد نسبك ، فتستجيب له ذاكرتي .
لست ادري متى حدث هذا ، فانا دائما اخلط الحاضر بالماضي .
مثلما اخلط الموت بالحياة ـ ثم يصل بينهما جسر من الرحمة .

لقد حصن سنجور نفسه ضد تهمة التكلف بمقال فيه تكلف الى حد ما ، وذلك في قوله « مثلما يشرب اهل ماناتا عند النبع » . وهو هنا يجادل بانه يكتب بصفة اساسية لجمهور افريقي ، يألف كلمات مثل كورا (٣٣) Kôra وبالافونج (٣٤) Balafong وديالي (٣٥) Dyâli وخالام Khalam واذا كانت هذه الكلمات غريبة على القارىء الفرنسي ، فليس هذا من شأنه . وليس المقصود بها ان تكون تصويرية وانما ان تكون وصفية ، وذلك لان كل شيء عند الافريقي الزنجي يمثل اشارة ومعنى في آن واحد ، وهكذا كل مخلوق ، وكل شيء ، وكذلك المادة والشكل واللون والرائحة واللفتة والايقاع والمقام (٣٦) والوتر : لون اللازورد ، وشكل الكورا ، وتصميم صندل العروس وخطو الراقص ولفتاته والقناع ، وهلم جرا » .

ان قراءة مثل هذه العبارة تزيد الشك في ان ما يصفه سنجور وغيره من دعاة الزنوجة يمثل قدرة الفنان على التوحد في الانسان ، وليس في الانسان الافريقي على وجه التخصيص وربما يكون من المحتم والصواب ان تؤدي قرون الامتهان والعسف ـ بالضرورة ـ الى احتجاجات ايجابية تصبح هي نفسها احتجاجات مطلقة . ومع هذا ، فمثل هذه المقالات العنصرية عرضة لاخفاء الطبيعة الحقيقية لنضال الفنان الاوروبي والخطر الحقيقي للهمجية الزاحفة وهما طبيعة وخطر بالفن بدرجة واحدة في افريقيا واوروبا . فاعداء التلقائية والعاطفة يروحون ويجيئون بيننا جميعا ، وهم لا يحملون أقنعة بيضاء دائما .

لقد نجح سنجور في ان يبني حياته الشعرية من التوترات التي كان من الممكن ان تدمره ، ومن العزلة والغربة والسحر الرائع المغوي لباريس ، والجذب العميق القوي لافريقيا ، وكارثة الحرب ، والامل النقي للامم الجديدة التي تسحق سحقا دمويا من فيتنام الى تاناذ ريفو (٣٧) تسحق مرارا وتكرارا على أيد غير ايدي مواطنيه المجندين اجباريا، الذين كتب لهم بطريقة جد جميلة في قصيدته « القتيل » ، حيث يقول:

ان اغنية دمكم العظيمة ستهزم الآلات والمدافع .
وكذلك سيفعل حديثكم الطلي ومراوغاتكم واكاذيبكم .
ليس ثمة كراهية في روحكم الخالية من الكراهية ،
ليس ثمة خبث في روحكم الخالية من الخبث .
يا شهداء الجنس الخالد ،
دعوني اطلب لكم المغفرة .

ولعل الذين يأتون الى اوروبا الان كممثلين لشعب حر ، وكأفراد في جيش غيور شجاع من الطلبة والوفود ، ان يلصقوا البطاقة المكتوب عليها كلمة « متفرنس » على انتاج هذا الافريقي الذي احب باريس ، وجعل تراث اوروبا يغمر وجوده ، واتخذ لنفسه زوجة فرنسية، واعتنق الديانة الكاثوليكية . ولعلهم اذا رغبوا في فهم ازمة اولئك الذين سبقوهم منذ ثلاثين سنة مضت ، ان يطالعوها في انتاج هذا « المولد الثقافي » على حد قوله وهم سيجدون مشاكلهم مختلفة عن مشاكله ، وربما كانت ايسر منها . فقد ترك سنجور اثرا تاريخيا يدل على مشاكله التي لا يمكن تجاهلها . وقد تركه في تلك القصائد التي تناولت موضوع التوفيق كقصيدة « باريس في الثلج » حيث يصرح بالتوفيق ويقرره ولا يتوسل اليه او يطلبه . وقد تركه كذلك في قصائد مثل « نيويورك » و « ليل السين » اللتين تسيران في اتجاه واحد حتى تبلغا نقطة كشف وطمانينة . وقد خلق موسيقى جديدة وعبر فيها عن ازمة جديدة وحياة بأسرها .

ترجمة : علي شلش

(٣٣) الة موسيقية وترية محلية .

(٣٤) شرفة او بلكون باللهجة المحلية .

(٣٥) المغني باللهجة المحلية . (٣٦) في الموسيقى .

(٣٧) عاصمة جمهورية مالاجاش او مدغشقر .